ابي
يركض وراء قطيع الأحلام

الكتاب: أبي يركض وراء قطيع الأحلام

المؤلف: محمد الكريم

الطبعة الأولى: ٢٠١٣

تصميم الغلاف: نهار حسب الله



طباعة. نشر. توزيع

دمشق/ جوال: ٩٤٤٦٢٨٥٧٠- ٠٠٩٦٣

Email: akramaleshi@gmail.com

محمد الكريم

ابي
يركض وراء قطيع الأحلام

قصص قصيرة

إهداء..

إلى أبي...

الراكض وراء قطيع الأحلام..

م. ك

(ثمةَ ثقب صغير أسفل راسي يسرب أفكاري على الورق!!)

المقدمة

قلق الأمواج
في قصص محمد الكريم

بقلم/عبد الحكيم أمين

لعل المدخل الأكثر فعالية والمتلازمة التي كثيراً ما نتلمسها في قصص محمد الكريم هي الصورة ، فهي تلامس الواقع الإنساني وتتخطى الاختلافات اللغوية والحواجز الجغرافية ، فهي تعجل ديناميكية الحدث وتكتنز لحظات معبرة وتجليات شفافة وفتوحات أخاذة في أطروحة سبر الوعي الإنساني وملامسته بفعالية وطراوة. ففي السطر الثالث من قصة((أبي يركض وراء قطيع الأحلام)) تتهادى صورة تلخص الحدث كله وتكون معادلاً موضوعياً لقصته كلها... ((أبي يهرب من لوحته المعلقة على جدار صالة الجلوس في عتمة الليل. يركض وراء القطيع))هنا تتجسد بانوراما جميلة: الزمن ليلا ،

الظلام يعم المكان ، صورة توحي بالخوف والغموض... ثمة لوحة معلقة على الجدار... ورجل يركض وراء القطيع ويترك القاص لمخيلة القارئ ملء التفاصيل: ما هو كنه القطيع في لوحة معلقة على الجدار؟.. وفي لحظة تتبدل المواقف حيث تتناقض الألوان

((ربما أنا في كابوس ابيض يزورني الصباح بغتة))

وفي قصة ((الراقص في المقبرة)) يظل البطل حائرا ، يترقب ، يغالب الألم وحالة انعدام الوعي.. متعلقا بالماضي الذي شتت وعيه وأثقل كاهله و شوش ذاكرته فصار يتماهى مع الموتى في غضبهم وحنقهم من واقعهم الساكن وغدا المستقبل بالنسبة إليه قبرا حاضرا ينتظر موته.. ليس هو وحده بل تطلعاته الثقافية ومشاريعه المستقبلية. إن قصة ((الراقص في المقبرة)) معادل موضوعي لحالة الإحباط والضياع التي يعيشها الشباب العرب.

ويجسد القاص حالة الحبس الاختياري الذي يعيش بصورة بصرية معبرة ، بل بلوحة فنية ، ملصقات مخيفة ، هياكل عظمية ، جماجم ، حيوانات وطيور تلك الصورة التي تمهد لحادث أكثر رعبا:

وهنا يؤشر القاص حالة الموت الجماعي التي تهيمن على مجتمعنا بوفاة صديقه

بشكل غير متوقع وتحذير مجهول بقرب وفاته بصورة ((إعلان في جريدة)).

وفي قصة((نباح كلب)) يلف القاص ويدور حول نفس الثيمة ، ثيمة الضياع واللامعنى وكأن القاص يعيش نفس أجواء الكتاب الوجوديين في بداية القرن العشرين:

((ابتلعتني المدينة أتسكع في دروبها الضيقة الملتوية كثعبان ، انبح..لعابي ما عاد يشفي جراحي العميقة ،كل لعقة اصرخ بعدها آه فيزداد سيل دمي أكثر... أكثر))

ويعبر القاص عن حالة الغربة و الانعزال والصوت المنفرد الذي يسمعه أحد في قصة ((أنا حمار)) حيث يسير العالم في اتجاه الذي يريد بينما يبقى البطل كئيبا مستلبا ، يتقمص شخصية حمار تترقرق الدمعة في عينيه كمدا على رزقه.. انه حمار من نوع خاص يفترق عن الحمير الآخرين.. ذلك أنه يشعر بالآخرين ويشاركهم همومهم.

وفي قصة ((بدون إزعاج)) يتربع مسرح القصة ثلاثة أبطال الذبابة والبعوضة والقاص الذي يكون ضحية لسخريتها ، هناك يقدم لنا القاص مشهدا دراميا عن نفس النغمة التي يرددها القاص بآلات موسيقية مختلفة: نغمة العجز والعقم وعدم القدرة على المواجهة الجدية ، فهو

عاجز أمام بعوضة وذبابة فما باله أمام مطبات الحياة الأخرى؟

وأزعم أن قصة ((حرز)) المكتوبة بحرفية عالية وباقتصاد بالكلمات يلفت النظر ، حيث أن أي حرف في هذه القصة هو متغير يمكن الاستغناء عنه في معادلة أدبية معقدة ذات مستويات متعددة واقعية ورمزية ، تراجيدية و كوميدية تؤرخ بمرارة لحقيقة الموت الأسود الاحتلال الذي غمر عقول العراقيين وقلوبهم.

العرض القصصي يؤرخ البراءة بأجمل صورة ويعكس العفوية الأخاذة في أداء الكاتب ولا سيما نهاية القصة الجميلة المعبرة.

وقصة((كسوف حلقي)) ربما حاول القاص أن يعبر عن حالة الضياع وانعدام الوزن وتلاشي الإحساس بالزمن كقناع عن مرارة الواقع وعدميته وهو موضوع جدير بالتناول في فن كالقصة القصيرة لكنه لم يفلح في إحكام بناء هذه القصة وعدم نضج شخوصها وتعثره في نهايتها.

ومع ذلك فإن الكاتب في اغلب قصصه يستثمر العناصر الثلاثة في القصة القصيرة: العرض والنمو والعنصر الدرامي استثمارا ناجحا يدل على أن الكاتب يمتلك موهبة خلاقة سيفصح عنها في قصصه القادمة.

فمن ميزات القصة القصيرة إخراج الحدث المتصوّر الذي يخرج إلى الوجود في إطار التشابه مع الواقع والتخلي عن حيل الفن الشعبي الذي يعتمد على ارتجالات بالغة الغرابة ، ويستمر في أداء وظيفتها كفن خالص قصد فيه إشباع القارئ المتجدد الناقد ، وهذا الطرح ينسجم تماما مع أداء محمد الكريم في اغلب قصص المجموعة.

أبي يركض
وراء قطيع الأحلام*

مرَّ المساء بسرعة خاطفة كوميض البرق لكنني لم أر ما شاهدته في الليالي السبعة الماضية.. كانت ليالي الكوابيس.. ـ أبي يهرب من لوحته المعلّقة على جدار صالة الجلوس في عتمة الليل.. يركض وراء القطيع..!!ـ

أغمضُ عينيَّ لحظات.. لربما أنا الآن في كابوس ابيض يزورني الصباح بغتة.. أطلق أنفاسي الحارة على وجه الوسادة ـ يا الهي ، أبي ما زال يحرس الكراسي!! ــ.. أغمض عينيَّ ثانية باحثاً عن كابوس مختبئ في جفنيَّ اسمع كفاً تطرق على باب سمعي ، أشعة حمراء تتسلل من نافذة الموت ، اهتز رعباً ، باحثاً عن مأوى اختبئ فيه من انفجار قد حصل توا.. افتح عينيَّ ، هارباً من الكابوس..

---

* نشرت في جريدة طريق الشعب العدد : ١٧٣ /٢٧- ٤- ٢٠١٣

ثمـةَ صـياحُ لنسـوة ثكـالى ضـاعت منـهنَ أحلامهـنَّ وأطفـال ينـوون الـدخول إلى الـدرس احترقـت واجبـاتهم وصارت وقوداً لشيّ لحمهم ، وعجوز يبيع الحلوى مرمـي علـى الطريـق يصـرخ "يـا نـار كـوني بـردا علـى قلـوب الثكلى.."

عـدت أمـارس التـذكر ، لم أرَ سـوى الحـرب باقيـة معششة في شريط الـذاكرة ، وأسمـاء أصـدقائي قـد هربـوا إلى المـوت رغمـا عنـهم.. لم يبـق منـهم أحـد. بمـن اتصـل كي يعينني على هذه المأساة؟. الانفجار أكل نصف بيتي وظل الباب واقفاً ، وما زالت الكف تطرق على الباب!!

أحاول النهوض من فراشي لم استطع ، شُلَّ جسدي ، احتلني هوس.. انظر إلى جسدي أراه على طوله.. احمـد ربـي بأنـه لم يصـبح صرصـاراً.. صـدقت في هـذه اللحظـة تلك الرواية المثيرة للجدل "المسخ لكافكـا" لكـن سـرعان مـا تبـدل الأمـر حركـت سـاقي وذراعـي ولم أر تغـييراً في شكلي الآدمي..

أصيح بصرخة مرتعشة:

- مـن يطـرق البـاب؟ لا افتحهـا لربمـا تنفجـر سـيارة أخرى موضوعة في مكان خاضع لحراسة تامـة ويحسـبونني

من نفذ التفجير؟؟

- افتح الباب أنا أبوك جئت اطمئن عليك.. أمازلت تنتظر ساعة الرحيل إلى أصدقائك أم سافرت قبل توديعي؟؟

- أبي ، رايتك تركض وراء القطيع حلم يتكرر كل ما أسدل ستارة العرض اليومي على مسرح الحياة عن عيني . كيف تفسره لي؟؟

- لا يا ابني حيث أنا ما زلت متمسكا بأفكاري ولن أبدلها مهما تبدل الدهر.. قم يا ولدي وافتح الباب..

- ادخل من حيث تَهدّم الجدار فقد ترك الانفجار فتحات ليستغلها اللصوص.

- لا يا ولدي فان زوجك معك..... وانأ لست لصا.....

- زوجتي ودعتني قبل أن تخرج وذهبت بأطفالها مترجلة إلى الموت وبعد ربع ساعة حدث الانفجار..

"كيف استطعتُ اَن أقول هذاالكلام حرقة تجتاح قلبي"

- اذهب يا أبي اذهب وأعلن صرختي.. انتظرُ الليل لأراك في كابوس آخر هل ستبقى في اللوحة أم ستركض وراء القطيع بعد أن فقدت أحفادك؟؟..

١٨- ٤-٢٠١٣

الراقص في المقبرة*

حاول أن يفك طلاسم الظلام عندما زجّته الحياة في هذيان بات مكتنفا بالألم..

خرج من بيته ليلة جنونه ، أكلت قدميه الطرقات ، يبحث عن قبر جده ليسره شعوذاته ومعاناته في هذه الحياة المفخخة بالألم. وقف عند قبر نُبِش قبل وصوله ، ظنّه قبر جده ، الذي غضب من هذا السجن فخرج يبحث عن حريته بدلا من الموت.. يقف متسمرا ، حائرا وسط الدهشة.

- أين أنت يا جدي؟

---

* القصة الفائزة بقلادة التميز في مسابقة فرج ياسين – الدورة الأولى – ٢٠١٣

نشرت في جريدة النهار في العدد ٦٦٠ – الخميس ـ ٢٠/ ٢٠١٣/٦

يرددها وهو شارد البال ، محتذيا قدميه ، عار عن التفكير

- لن أتحمل الوقوف وهذا الجنون الذي يأكلني.

يجلس عند القبر المنبوش هامساً:

- عجلة الزمن تدور وأنا أدور كالبقرة حول ساقية!

رددها بين همس وصراخ لأكثر من عشر مرات.. يجر أنفاسا عميقة باكيا بألم

- جدي ، أين قبرك؟ هيا ، قم من ترابك كما قام صاحب هذا القبر منتفضا وترك شاهدته تحرس الحفرة.. تعال نرقص على هسهسة القهر المبلول بالضياع...

يلزم صمته قليلا ، مقلبا التراب بأصابعه ، يحفر قليلا تتشابك أصابعه بأصابع مدفونة قريبة من سطح الأرض قال مندهشا:

- لم تتحملك الأرض ماذا فعلت هناك في أعماقها أم تحاول أن تهرب؟؟.. حتى الموتى يفكرون بالهروب!!.

يلقي نظرة على القبور المحيطة كاتما آهاته بين ضلوعه ، يطبع فمه على التراب يتقيأ ما في جوفه من خوف..

- الفقر أكل الناس.... بتفاهة اسمها قانون! ـ دمعة تغرغر في عينيه ، تقدح تنكفئ رغما عنه ـ القانون حبل

يتدلى من دبر السلطة يلتف حول رقبة الفقير ليقوده للانصياع وإلى الضياع.....!!.

ثمة أصوات غريبة تعلو من بعيد وتخفت. مازالت السماء متشحة بعباءتها السوداء ، الأصوات تقترب ، نحيب ، ونباح كلاب.. إنهم مشيعون - ينتظرون الفجر يدلهم على الطريق إلى الدفن.. يضحك بسخرية.

- تمنيت لو أني أموت لأتخلص من هذا الزمن الأعور!

صعد أول شعاع للشمس فتح أقفال الليل الأعمى ، ينهض من ركوده يلقي نظرة على الشاهدة يقرأ اسمه محفورا عليها ، تقترب جموع المشيعين ، يحملون نعشا يصرخ احدهم باسم الميت الذي ما يزال حيا:

- اللهم ارحمه..

يلقي نظرة أخيرة حول الجمع المحتشد بين بكاء وصمت ، يكتشف سر القبر المنبوش انه مهيأ لدفنه يمد جسده في الحفرة يلتفون حول الحفرة يرفعون الغطاء عن النعش المملوء بكتبه القديمة يصرخ بعضهم:

- ادفنوه بكتبه..!

إعلان في جريـدة*

يحاول الخلاص من تلك العتمـة والصـمت والوحـدة ، يحاول الفرار من بين الجدران الأربعة ، وملصـقاتها المخيفـة المرعبة هياكل عظمية ، جمـاجم ، حيوانـات وطيـور غرفـة أشبه بمدينة أشباح حيـث يكسـر ظلمتـها بصـيص فانوس نفطـي زجاجهـا يظللـه سـخام. أوقـد مصـباحه اليـدوي المشحون قليلا جلس مستلقيا على كرسيه الدوار مفكـرا مـاذا يفعـل تـذكر رزمـة جرائـد ابتاعهـا أثنـاء قدومـه مـن الجامعـة سـحب واحـدة وعلـى واجهـة الصـفحة الرئيسـية إعـلان بـاللون الأحمـر (بقـي سـاعة علـى نهايـة حياتـك) ابتسم للعنوان وفتح الجريدة ليعرف ماذا بعده. هربـت مـن غرفتي المظلمة وبيدي حقيبتي فتحت باب الشقة وجدت ظرفا ابيض ، لم اعره اعتبارا. سحقته ومررت بطريقي إلى

* نشر في مجلة بانقيا – ٢٠١٠ صيفا

السلم راودني قلق عنيف عاودت الرجوع إليه تسليت بفتحه وأنا انزل السلم سلمة.. سلمة. بهدوء ، ما قرأته أربكني في الوهلة الأولى ثم قارنته: (بقي ساعة على نهاية حياتك) بما قاله محمود درويش: (لو قالوا لك بقي ساعة من حياتك ماذا ستفعل) ومعها رصاصة التفت يمينا ويسارا وأرجعت الورقة والرصاصة إلى الظرف ، رميته في احد جيوبي قطعت الطريق صامتا هادئا دون أي انفعال حتى وصلت إلى بيت صديقي فتح الباب فوجئ بوصولي في هذا الوقت المتأخر قلت له

- لا شيء لكن الوحدة حددت نهاية حياتي فأفضل مكان أوي إليه هو بيتك

- ماذا تقصد؟..

- غرفتي مظلمة وحتى النور صار ظلاما وأريد أن اقضي هذه الليلة معك وأتسامر.

- أهلا بك هذا بيتك في أي وقت.

ارتشفنا فناجين (الكاباشينو) ونظرت لساعتي سبقني بالكلام

- تريد أن تذهب؟ لن اسمح لك الخروج من البيت في هذا الوقت المشحون بالرعب مهما تكن

حاجتك الذهاب..

ضحكت وأنا أغمض عيني بحرقة وألم واضعا الفنجان على الطاولة المربعة.

- لا ، اطمئن ، لن اخرج ولكن أقول بقي ربع ساعة على وفاتي..

- ماذا يدور في بالك منذ دخلت وأنت تقول وحدتي حددت نهاية حياتي بعدها قلت بقي ربع ساعة على وفاتي.

لا ادري ماذا أقول له وأنا أمد يدي في جيبي وأوزع ابتسامة مريرة. الظرف يرتجف بيدي رمقه بقوة وخطفه مني سقطت الرصاصة سحب الورقة وسبقته.

- نعم.. نعم ، ربما كل شيء يكون حقيقة وتكون هذه الورقة حقيقة لا احد يعرف بها لو عرفوا قد يستغلها البعض وينفذ ما يدور في باله ويحقق أمنيته لأنه فاشل.

إذ يمتزج صوته بصوتي وهو يقرأها بصوت عالي

- (بقي ساعة على نهاية حياتك)..

رددها بخفوت صوته مرة أخرى كانت زوجته واقفة عند الباب تنظر إلينا تحاول أن تشترك في حديثنا صرخت بصوت عالي:

- يا للمصيبة ، أنت؟ من هم هددوك؟

- لو اعرفهم لقتلتهم بعقلي لا بالسلاح..

قال صديقي بحيرة

- ماذا ستفعل؟ كيف تثبت صحة هذه الرسالة؟.

- لا ادري ماذا افعل؟ عقلي تجمد ، ولم يفصح لي بأي شيء لدي فكرة ارجع إلى شقتي وارى ماذا يحدث بعد الساعة.

- لا.. لا تخرج ربما نصبوا لك كمينا وتسقط في مصيدتهم إما يقتلوك ويرموا لحمك للكلاب أو يساوموا اهلك فتخسر ويخسرون.

تصاعدت خيوط الفجر وقبل أن تكسر الظلام كليا أقنعتهم بان اذهب إلى شقتي اجلب جواز سفري حتى أسافر إلى خارج العراق تركتهم بحزنهم وخرجت وحدي وأنا في سيارة التاكسي ما ظن لي ظن بان يكون السائق يراقب تحركاتي في أول الأمر وتوجسني إحساسي وكأن لي شيئاً في الحقيبة حين فتحتها أذهلت بوجود جواز سفري وراتبي الشهري استلمته أمس ولم أخرجه فرضت على سائق السيارة بأن يوصلني إلى مطار بغداد قبل الوصول إلى الحي السكني تعجب سائق التاكسي لان

الطريق إلى المطار بعيد جدا يتجاوز الساعتين بسبب الازدحام. وصلنا إلى المطار توقف التاكسي تذكرت رزمة أوراق فيها بحث مهم جدا ويجب علي أن أخذه معي بقيت في حيرة وتردد ماذا افعل ارجع أم لا؟. طلبت من السائق أن يرجعني إلى المكان الأول تعجب سائق التاكسي بصمت حرك رأسه ويده وقال:

- ماذا تفعل أنت.. أنت مجنون أم نقودك كثيرة؟
- تذكرت بحثا مهما وأريد الرجوع إليه

أخرجت موبايلي حاولت الاتصال بصديقي وجدته نافذا شحنه ، استعرت بطارية موبايل السائق واتصلت به يرن الهاتف ولم يرد احد. قطعت الطريق بالصمت وراودتني أفكار غريبة طويلة عجيبة لا يسعها صدري ، قد يكون الرقيب يتابع خطواتي من حيث خرجت وحيث دخلت ومن حيث خرجت ثانية. عيناي ترى ما حولي وحوش. ألتفت إلى السائق وكأنه وحش قطعت نظراتي منه وعدت لأتساءل مع نفسي "لماذا ضغط السائق على المنبه قبل أن أؤشر له وسيارته حديثة جدا لم تكن سيارة أجرة قد يكون واحدا منهم؟؟. الموت حليفي لا محال ولا مفر"

داس على الكابح بعنوة ، فقطع تساؤلاتي الداخلية واستعاد سرعته وعاودت التساؤلات تتدلى من رأسي بصمت.

ربما أجد في عتبة باب شقتي منشورات وظروفاً جدداً وتهديدات أخرى واحد يقول ، غدا تموت ، والآخر أكثر حداثة يقول بعد قليل تموت. أجد الظروف تملأ الممر ، اسحقها كلها أول الأمر ثم أعود لفتحها ، وقرأتها الواحد بعد الأخر ، أو القاتل واقف عند الباب ، ينتظرني ، اخرج أو ادخل ، وسلاحه بيده وحتى دون لثام وجهه لأني لو نجوت لمن أقدم شكواي. منبه السيارة أيقظني مرة أخرى بدأت أرى كل واحد متلبساً بشبح أو وحش بيده خنجر أو سكين أو.... أوقفتً سائق السيارة عند باب العمارة دخلت ، ارتقيت الدرج إلى الطابق الرابع بخوف وفزع عظيمين ، وصلت.. ماذا رأيت؟؟؟

رأيت جثة هامدة عند عتبة بابي ، إنه صديقي....

في نهاية الإعلان تحذير:

ربما خالفه القدر ونجا من الموت فالموت حليفك لا محال.....

أطبق الجريدة وقال:

- لا محال.. الموت لا يعرف...

قفل هاتفه وبقي في شقته منقطعا عن عالمه الخارجي وسط العتمة والصمت حتى وجدوه ميتا.

٢٠١٠/٦/٢٨

لا نقوش على بساط جدتي

لا نقوش على بساط جدتي.. فراشها المفضل لا تجلس على غيره ولا تنام على فراش تفرشه لها إحدى كناتها أو بناتها. ونحن مذ كنا صغارا لا نحب اللعب إلا على بساطها الناعم من سجاد الكاشان القديم.. ابيض.. فيه رائحة طيبة قديمة.

نحن.. أنا وأخوتي كنا نشعر بالمرح حين نراها تستشيط غضبا من تصرفاتنا.. نعيد الكرة مرات عديدة حتى نسقط في شباك تنصبها لنا فتضربنا ضربا مبرحا. فتشتكي ونشتكي لأبينا وننال عقابنا.. تتظاهر بأنها تزهو فرحا لإيذائنا ، لكنها لو خلت لوحدها لعبرت عن حزنها ولامت نفسها وأنشدت موالاً حزيناً وبمجرد أن ترانا تمسح دموعها وتمط انفها الكبير بأكمام أسمالها السود وكأنها

حيكت على جسدها بعد وفاة جدي ـ رحمه الله ـ.

أتـذكر ذات مـرة أشـعلت عـود ثقـاب علـى بسـاطها فضربتني وسقطت الجمرة أثناء حركتي المسرعة فأحدثت ثقبا صغيرا فصار حكايتها تحكيها لكل من يزورنا ، غريب أو قريب وكأنني عدوها!.

سافرت، قضيت عمرا طويلا في غربتي.. احـن إليهـا اليوم إلى قلبها الأبيض لكن لماذا تذكرت ساعة غضبها ، وبساطها الذي صار أسطورة للأحفاد يا ليتني كررت أيـام طفـولتي وتمددت عليـه يـا ليتـها تتـذكر طفـولتي وإذا مـا تـذكرت واستعرضـت شـريط ذاكرتهـا هـل سـتبكي أم تضـحك؟ وسيسـألونها عـم تـبكين؟؟ وإذا ضـحكت.. لا أريـدها أن تضـحك لأنـه لا احـد يفهـم قلبـها سـواي سيتهمونها بالخرف ، وفقدان الذاكرة..!!

لم يبـق أمـامي إلا خطـوات واطـرق بـاب بيـت جـدي وهذه الذكريات الـتي تنـهال علـيَّ منـذ أن ركبـت الطـائرة وجـدتي الحاضـرة الأولى.. اطـرق البـاب.. قـرع خفيـف ، تُفـتح ، ادخـل ، اجمعهـم بـين ذراعـي واشـعر بفـراغ بـيني وبينهم وكأن شيئا افقده.. بساط جدتي لا يـزال مفروشـا.. رائحتـها تفـح في البيـت العتيـق وسـؤالي خـرج بالخطـأ متمتما

- أين جدتي؟؟؟؟؟؟

أرى الوجوه تشحب أمامي.. وشعرت باني مذنب بهذا السؤال

ردت عليَّ أمي بصوتها الخافت تخفي حسرة

- ماتت في اليوم الذي سافرت فيه...

١٩- ٦- ٢٠١٣

نباح كلب

ابتلعتني المدينة.. أتسكع في دروبها الضيقة الملتوية كثعبان ، انبح ، ما عاد لصوتي صدى ، لا سامع يسمعني ولا فائدة من نباحي ولكن انبح... لعابي ما عاد يشفي جراحي العميقة ، كل لعقة اصرخ بعدها آهة فيزداد سيل دمي أكثر.. أكثر!.

روحي قطار تركت أفلاك سكتها بلا نهاية/بلا محطة وقوف إلا الموت..!!

لِمَ ابكِ/اصرخ /انبح ؟؟... لِمَ هجرت عقلي؟!

إن كلباً آخر توقف في محطته الأخيرة وظل هناك بين المخلفات.. التف النمل حوله حتى حان الصباح لم يبق منه إلاّ رفات عظامه ، يدوسها عامل البلدية بحذائه الرثة...

نباح كلب!! أو بالأحرى نزيف صمت لا حدود له

أعمق من أغوار البحار..

يبدو العالم - فعلاً - قرية افتراضية صغيرة ، من يتعشّق في أفلاكها لا يفكها أبداً ولا يفهم سواها معنى للحقيقة.. أنا في هذه المدينة ، لكنني أدور في أسوارها ابحث عن ثمرة عيشي الضائعة لا أكل في الشوارع ، صار أكلهم أقراصا صغيرة يبلعونها وهم في أمكنتهم.. لا مخلفات تُرمى...!!

مداخل الخوف كثيرة والدخول عنوة والخروج مستحيل.. أولي راكضاً بعد أن يرميني ذاك التافه بحجارة تزيد جراحي ألماً ، ابحث عن مأوى طول الليل ، ولا سبيل إلى الفجر إلا موتي وموتي مستحيل...!

أنا حمار!!

أنا حمار!.. ومطأطئ رأسي إلى الأرض أنهق ولا احد يسمع نهيقي هو في الأحرى صراخ ألم ، حملت على ظهري آلام السنين الماضية وسرت وما زلت اسبر في خضم اللغط المهووس...

أنا حمار..!

جالستُ حمارا في زريبته.. تترقرق الدمعة في عينه كمداً على رزقه ولقمة عيشه وظهره الذي تصلّب لتركه العمل وجلوسه الطويل في الحظيرة..

أنا حمار..! لكنني أشعر بهموم الآخرين.. تدنو عقارب حزني من عقارب ساعة الموت.. انتظر رصاصة الرحمة لأفيق من يقظتي...!!!

أنا حمار وأراهم يبيعونني بثمن رخيص.. وآخر

يذبحونه فائضاً عن الحاجة ولحمه غذاء لأسود الأغنياء..

فرقـي عنـهم ، أديـت الـيمين وتمسـكت بقسـمي ولكـن صار لهم جسر عبروا على ظهري إلى بر الأمان..

أنـا حمـار.. تكلمـت بلغـة الحمـير فـزاد حمـار الحظـيرة بكاءَه

أجهشت بالبكاء... حتى فقدت صوتي !!!

أنا حمار.. أنا حمااااار.. حمار.. حماار........!!

بدون إزعاج

قالت الذبابة للبعوضة:

- أنا أكثر منك إزعاجا

ردت البعوضة:

- لا ، أنا أكثر إيذاءا وإزعاجا
- نرى من الأكثر
- هيا ، ندخل من هذه النافذة..

التفتا حول رجل جالس على كرسي متأمل بقراءة كتاب. لسعته البعوضة والذبابة تفحصت طراوة وجهه.. حاول قتل احدهما. طارت البعوضة مبتعدة وهي متثاقلة بدم الرجل مستريحة في عتبة النافذة لا تستطيع الطيران ثانية.. حك جلده المحمر ، ثم غسله بماء موضوع في قدح على طاولة. شعر براحة قليلة. بينما ظلت الذبابة تحوم

بعين ضاحكة للبعوضة متأرجحة بين أذنه والكتاب ووجهه ثانية ، داخلة انفه ، وحول الشفاه التي تسعر من لدغة البعوضة إلى الكتاب ثانية لم تطل وقوفها.. فكر بالخلاص منها ـ أن يقتلها ـ وضع الكتاب بزاوية (٤٥ درجة) داعيا لها النزول تفرش جسدها فوق السطور طبق الكتاب بسرعة. ضحكت في أذنه ضحكة طويلة.. تلعب بسخرية تحط وتطير وتشق الأفق والرجل منزعج جدا يطبق على الهواء ، يلوح بيديه نافذ الصبر. والبعوضة مسترخية شاعرة بخيبتها عاجزة عن الطيران.....

١٥/ ١٠/ ٢٠١١

عائد مع الريح

صرخات محمومة تنبع من قصاصات محشوة في جيوبه.. يمشي/ يتقاطع مع الناس الداخلين الى المدينة بصمتهم المعهود.. كل العيون تترادف عليه فشكله غير الطبيعي يضج بالألم وتقاسيم وجهه تشكل منظرا غريبا.. غامساً يديه في جيوبه يخنق الصراخ. يداه نديتان تتصببان عرقاً من شدة القيظ.. يغسل الورقات..!

"لا احد يشبهني إلا أنا حين أقف أمام المرآة!"

يحاول دفن الصراخ خارج حدود المدينة. يداه تحفر الأرض بلا رحمة ، يدفن القصاصات لكن الصراخ يتصاعد من التراب ، فيجن جنونه..

ينكفئ على الأرض متضرعا إليها:

"أيتها الأرض ، أسكتي صراخ الأوراق فقد عثرت

عليها في مجرات مكتبي بعد عودتي من المهجر ، كلما حاولت أن اقرأها يجتاحني حزن وألم يحتل رأسي حاولت الخلاص منهن لكن ظل الصراخ يلاحقني."

المكان يضج بالصراخ ، فيصرخ واضعا إصبعه في أذنيه

"أنا مجنون...."

يسكت قليلا. جمجمته تكاد أن تنفجر لم يتذكّر من الماضي شيئاً ، إلا انه يعتقد انه كتب عندما كان طالبا أحداثاً عن الانتفاضة الشعبانية ففضحته الورقة الأولى بصيحات فانهزم واقعا في قبضة رجال الأمن.

"لا أتذكر شيئاً سوى أنني قتلت السجّان وتنكرت ببدلته الخاكية وهربت خارج العراق"

ينبش التراب ـ شيء لا يقبله عقله ـ القصاصات قد تحولت إلى رفات بشر قد مضى عليها دهر. ملامحهم ليست غريبة ، تفحصها جيدا ، عرفها ، أنها لأصدقائه الذين كتب سيرتهم بعد أن اعتقِلوا من "فندق السلام" كانوا في طريقهم إلى ثكناتهم العسكرية...

صرخ...

"أين القصاصات؟؟؟؟"

١٤- ٧- ٢٠١٣

حرز

الرصاصة مازالت في جيبي ، كيف أتخلص منها؟ ، لربما تكون سبباً لهلاكي ، لكن هي الحياة وهي الموت. كانت سبيل نجاتي من إخطبوط الموت.

نظرت إلى وجه زوجتي وهي تجلس إلى يساري ، وابني إلى يميني تأملت في الوجوه الباقية ، وجدتها كلها غارقة في بحر من الأفكار ، مددت يدي في جيبي تلمست الرصاصة بألم "إذا فقدتها كيف احمي نفسي وعائلتي؟" تأملت في وجه زوجتي بعمق "لا أريد فراق هذه العيون الجميلة". كانت زفراتنا تنغم الصمت الذي احتل السيارة منذ أن ركبنا الطريق السريع وصوت الهواء تشقه السيارة المسرعة بعنف ، وصدر صوت متعب بسبب التدخين ، كسر الصمت ، وشد الناس ، قطع سلسلة أفكارهم ـ هو السائق ـ إذ يقول "هذه سيطرة للأمريكان ،

وسمعت من احد السائقين إنهم يفتشون عن الأسلحة والآثار المسروقة فمن يملك سلاحا فليتخلص منه أو قطعة أثرية فلينزل" بقينا صامتين. انتابني خوف وقلق. بدوت مضطربا نظرت إليَّ زوجتي أحست بضجري سألتني:

- ما بك أراك منزعج؟

- لا شيء..

جلستُ بهدوء دون أن انظر إليها ، تصاعد الخوف لم أتحمل الجلوس ساكنا دون حراك. زوجتي أخذها الشك باني اخفي شيئا عنها سألتني

- منذ أن تكلم السائق وأنت لم تسكن في مقعدك ما الأمر؟

قربت فمي من إذنها وهمست إليها:

- أتذكرين الرصاصة؟

- أي رصاصة؟

- التي نجتنا من الموت.

فتحت عينيها الواسعتين وقالت:

- ما بها؟!

- ما تزال في جيبي

- ارمها من الشباك وتخلص منها

- لا لن ارميها..
- وان وجدوها؟
- أعطيها لهم ، أو.. أقول لهم فيها حرز.

توقفت السيارة أمام نقطة التفتيش وبعض الناس قد سمعوا ما دار بيننا وظلوا قلقين عليَّ ، يدعون ربهم أن تمر الأمور بسلام. قال المترجم على لسان الجندي "انزلوا من السيارة لتخضعوا للتفتيش"

نزلنا من السيارة ومسكت ابني من يده ـ ذاك ابن الربيع السابع ـ كان خائفاً دون أن يتكلم ، تقدم الجندي ، يفتش ، والعيون تدور حولي ، وصل التفتيش إلي ، تركني ، ومد يده إلى امرأة تقف بجانب زوجتي ، صرخت بوجهه "لا تمد يدك القذرة" توقف الجندي ورجع إلى الوراء ، تحدث مع الضابط جاء المترجم وكلمني "دعني أفتشهن.. حقائبهن" أفرغن حقائبهن على التراب نظر المترجم بعينيه دون أن يمد يده ولم يجد أي شيء. جمعت النسوة حقائبهن وشكرتني تلك المرأة رددت عليها "لا شكر على الواجب أنت وزوجتي واحد أنت شرفي أنت عرضي" تقدم الجندي باتجاهي ثانية ثم غيّر فكره وفتش ابن إحدى النساء لم يبلغ الخامسة تقريبا حتى صرخت

أمه بوجهه "هذا يخيفكم يا جبناء!". لم يصغِ إليها حتى أتم تفتيشه ، وانقلب ليفتش ابني صرخ بصوت مخنوق وتسابقت دمعاته باتجاه فمه المسدود دون أن يفتحه ، ترك الولد وانقلب إلي ، شعر بخوفي والعيون كلها تراقبني ، يتهامسون ، فوجئت بأنه لم يعثر على الرصاصة تمتمت مع نفسي دون أن ارفع صوتي "غبي ، كيف تفتش؟!". عيون الناس ما زالت ترتمي إليّ بخوف لاهب. أحس الجندي بوجود شيء عندي عاد يفتشني ولم يعثر على أي شيء. سقطت عيناه بوسط عيني الراقصتين قطعت نظراته ونظرت لزوجتي وعدت إليه ثم عدت ثانية لزوجتي ، لأبني والناس أبشرهم بنجاتي حتى رجع الجندي إلى الوراء ، تحسست جيبي ولم اعثر على الرصاصة "يا الهي ، أين اختفت؟" شكرنا الضابط لتعاوننا معهم قائلا "هذه واجباتنا" توقف عن الكلام ثم قال "اركبوا سيارتكم".

تحركت السيارة وبقيت مشغول البال سألت نفسي "أين اختفت الرصاصة؟" وسألتني زوجتي "أين أخفيت الرصاصة؟" وسألني الركاب بصوت واحد "أين أخفيتها؟" سقطت في حيرة للجواب "أين...؟" وخز ابني على فخذي بسبابته المدببة مما جعلني اقطع حديثي

نظرت إليه فتح فمه وأخرج لسانه الملفوف فتح طياته وخرجت الرصاصة قلت لهم " في فم ابني " وقال ابني " عندما همست في إذن أمي لم أسمعك من الوهلة الأولى حتى دار بينكما الحديث مددت يدي في جيبك وأخرجت الرصاصة دون أن تشعر أخفيتها في فمي وكان بكائي تمثيلا ".

اليوم ٢٠٠٥/٤/٩ ومر عام على تلك الحادثة وأنا اتجه مسافرا بنفس الطريق والرصاصة ما تزال معي ولكن هذه المرة وحدي فأين أخفيها نظرت إلى يميني شاهدت طفلا يجلس جنبي وهو بعمر ابني فضحكت " هل سيخفي رصاصتي؟ ".

٢٠١٠/٤/٩

كسوف حلقي

أزاح عن وجهه قطعة كارتون ، فتح عينيه لم يميز ما حوله ، الجدران تدور والضباب يملأ الأفق ، حاول النهوض أعاقه ثقل رأسه أغمض عينيه وفتحهما بعجلة قائلا:

(حقهم إن منعوني من الشرب هو اليوم الوحيد الذي أحس فيه ثقل رأسي ، وتعثر لساني ، وعيوني لا ترى ما حولي.)

دفع الأرض إلى الأسفل براحتيه وجلس ممدد الرجلين.. ركّز بعينيه لمح حائطا لم يعلُ كثيرا ، اخذ يتساءل مع نفسه(أين أنا؟) (منذ متى؟).. (جسدي متعب جدا..آه.. آه..)

حاول الوقوف قام وسقط قام مرة ثانية ولم يستطع.اخذ يزحف على أربع ، وصل إلى الحائط الواطئ حاول أن يتذكر دون أن يكشف شيئا جديدا أو يتذكر أي شيء.

توكأ على الحائط وأخذت حدقات عيونه تنظر عرف نفسه فوق سطح بناية استدار دورة كاملة ببطء لمحت عيناه غرفة بابها مسدود حاول المشي إليها فسقط على الأرض اخذ يزحف باتجاه الغرفة وصل إليها دفع بابها ، انفتحت ، داخل الغرفة ، واجهه درج مظلم ، فكر في النزول إلى الأسفل ومهما تكن العواقب. انسل إليه ضوء باهت ، توقف قليلا ، ثم استمر بالجري حتى صادفته باب حديدية مشققة ضرب الباب ضربة عنيفة وانفتحت خرج إلى الشارع مستغربا من المكان قائلا:

(عندما كنت اشرب ما كان المكان هكذا وكان معي أصدقائي لم يتركوني وحدي!.. أين هم؟.. وأبقى أسأل أين هذا المكان؟.)

شم ملابسه يتفقد رائحة المشروب شعر برائحة دخان احتلت أنفاسه وعيونه لمحت قميصه مثقباً وقال (هل أحرقته سجارتي؟)

جلس على الرصيف ورأسه يدور يميناً ويساراً ، مد يده خلع حذاءَه سقطت قدمه على بركة ماء ، نظر إليها بإمعان ، وجدها بركة جامدة ، مد يده يتحسسها دون أن يميزها اخذ منها قليلا قرب يده لأنفه شمها ولحسها

بلسانه عرفه دم جامد من برودة الجو كان المكان خاليا من البشر اخذ يتساءل بتمتمة (من أين جاء هذا الدم والشارع خال من البشر؟).

رفع رأسه إلى عنان السماء استنشق بقوة غمرت أنفاسه رائحة بقايا حريق ، استمر بالزحف حتى عبر الشارع إلى الجانب الآخر ، جلس قليلا ثم اتجه إلى الجنوب ، اقترب من شارع السدير.. توقف. لم يستطع أن يواصل الزحف بسبب التعب ، سكن قليلا ثم حاول الوقوف ، وسقط جازف مرة ثانية ورابعة - بلا اتزان - تقدم إليه شرطي سأله:

- ماذا تفعل هنا؟

نظر إليه باشمئزاز وصمت قليلا والصورة تدور عنده ثم دوّر يده وهو يقول:

- قف متزنا وتكلم بأدب

لم يعرف بان الذي يكلمه شرطي.. مد الشرطي يده وقال:

- أنت رجل متعب لكن ماذا تفعل هنا؟

توكأ على يد الشرطي ووقف بلا اتزان أجاب:

- فتحت عيني وجدت نفسي فوق تلك البناية
- منذ متى؟
- لا ادري.. لكن كم الوقت؟
- السابعة والنصف...
- فاتني الوقت عليّ الذهاب إلى الدوام
- وأي دوام؟ اليوم جمعة
- جمعة؟! يعني أنا فعلا لم اشرب.. لكن...

توقف عن الكلام وهو يهز برأسه ويحكّ مؤخرة رأسه من الخلف محاولا التذكر..

تعجب الشرطي وأعاد

- نعم جمعة!

ثم اخذ الشرطي يتمتم مع نفسه (ربما يكون هذا الرجل ضحية من ضحايا انفجار الأمس ولم تعثر عليه فرق الإنقاذ.. لكن ما الذي اصعده إلى أعلى البناية) وسأله ثانية

- لماذا صعدت إلى هناك؟
- كنا دائما أنا وبعض أصدقائي نجتمع في سرداب نتبادل الآراء والأفكار ونستأنس بشرب الويسكي ولكن

هذه المرة شربنا على برودة الهواء الطلق وضحك بصوت عال

- أي شرب؟ تعرف ماذا حصل أمس؟

- هههم أنت تعرف؟ ربما كما معتاد علينا لكن منذ فترة ولم تعتقلنا السلطات تقريبا آخر مرة اعتقلنا قبل عام ونصف تحديدا في صيف ١٩٧٨وكنا سكارى ولم يفهموا منا أي شيء ورمونا في الشارع ويبدو أنهم في ليلة أمس أيضا اخذوا أصحابي وأنا تركوني وربما أخذوني ثم أطلقوا سراحي ليراقبوا تحركاتي إلى أين اذهب مع من امشي؟. صمت قليلا ثم قال للشرطي من أنت؟ أرسلوك تراقبني وأخذت مني معلومات كافية

صمت الشرطي ولم يجب بحرف واحد

واستدرك الرجل كلامه

- أنت رجل كثير الأسئلة ماذا تريد؟ تنح عن طريقي لأمضي إلى المكتبة العامة

- عم تتحدث أنت؟ أي ٧٥ ؟ أي كلام هذا نحن اليوم في سنة ٢٠١٠.....

تغير وضع الرجل

واستدرك الشرطي بكلامه

- وأنت لم تصعد لوحدك.. عصفتك صعقة انفجار الأمس.....

انتبه الرجل لنفسه واستعادت له ذاكرته وصمت قليلا ثم قال

- ماذا قلت؟ ٢٠١٠ ؟

خيم الصمت حوالي ثلاث أو أربع دقائق ونظراته تستفهم اخذ يدور رأسه يمينا ويسارا متذكرا من حديثهما وأعاد

- قلت اليوم جمعة ؟

- نعم ! جمعة ٢٠١٠/١/١٥....

أعاد التاريخ مع نفسه واستذكر شيء وقال

- اااه فاتني شيء... وتوقف عن الحديث

- ما هو؟

- الحدث الكبير عليّ الذهاب إلى دائرة الأنواء الجوية لأشاهد الحدث الكبير.

- وأي حدث هذا ؟!

- الكسوف الحلقي الذي تشهده بعض دول العالم سيبدأ في الساعة الثامنة والنصف فعليّ الذهاب حالا

عـدل قامتـه ووقـف مسـتقيما حـاول المشـي مسـكه الشرطي من يده ومنعه من المشي قائلا له:

- علي إبلاغ الإسعاف ليقلك إلى المستشفى انك تعبان....

- يقلـك أنـت أنـا ذاهـب إلى دائـرة الأنـواء الجويـة لدي دعوة هناك

انتابه غضب من قول الشـرطي وأسـرع محـاولا المشـي سقط على الأرض وغطت وجهه قطعـة كـارتون حـاول أن يخلعها فنزع مـن وجهـه كمامـة التـنفس الاصـطناعي كـان الطبيب واقفا فوق رأسه أجابه

- لماذا خلعتها؟

- كل ما عندي قلته لكم في التحقيـق السـابق مـاذا تريدون مني؟ أنا....

- اهدأ ، ماذا قلت؟ أنـت مـن بقايا انفجار الأمـس عليـك أن لا تغـادر المستشـفى لتأخـذ العـلاج بصـورة منتظمة أنت مصاب بفقدان الذاكرة

صـمت قلـيلا ثـم أخـذت نظراتـه تفهـم انـه لـيس في معتقل ولا في مركز شرطة عادت له ذاكرته وقال:

- أريـد أن اذهـب إلى دائـرة الأنـواء الجويـة لرويـة كسوف الشمس هذه الأحداث تهمني كثيرا

حاول الطبيب إقناعه بعدم الخروج إلا أنّ يـتم علاجـه في المستشفى أغضبه قول الطبيـب وصـرخ بوجـه الطبيـب فأغمي عليه وسقطت الكمامة من يده وغطت وجهه....

٢٠١٠/٢

لعبة الغرفة المظلمة

"انتهت اللعبة وكل ذهب إلى حاله وظل الفقير في ساحة اللعب ينتظر اللاشيء"

لكاتب مجهول

تبدأ اللعبة وتنتهي بمحض إرادتنا ، لا بل بإرادة من اخترعها....

اللعبة تبدأ بصفارة حكم...

اختر خصمك.. اثنان فقط يتباريان.. غرفة مظلمة لا تستطيع أن ترى أصابع يدك المرتجفة..

- التزِما بالصمت وابحثا عن بعضكما أيكما يمسك بالآخر هو الفائز!

دخلا الحلبة بتردد يدور بذاتيهما سؤال

- لماذا لم يجرب بنفسه ويرى متعتها؟

يصيح من وراء الظلام:

- الجائزة وأنتما بأمس الحاجة إليها فهو بانتظار الفائز لا تضيعا الفرصة.

بدأت المباراة..

- أين أنت يا....

صرخ الحكم وعيناه تقدحان شررا بصوته الخشن الذي لا يناسب مظهره الناعم وبنيته الهزيلة

- بصمت.. ابحث بصمت. فان أمامك وقتاً كافياً للبحث وأكيد ستجد المتعة في البحث..

استمر البحث لساعات طويلة دون جدوى وبصمت مفروض. بدا الفجر يمد أصابعه من النافذة.. صرخ بصفارته

- انتهت اللعبة

فكر بطريقة أخرى يجعل الغرفة لا تتأثر بالضوء لم يجد سوى أن يلغي الشبابيك.. دخلا من جديد حل نهار ورحل وهو ينتظر صوت احدهما ولم يسمع منهما أي رد. كتبت الصحف والمجلات (لعبة الغرفة المظلمة) والتلفزة والشبكة العنكبوتية عن ابتكاره الذي عُدَّ فريدا وغريبا فحصد المال وهرب ولا زالت الجولة قائمة...

سيمفونية مع حبيبتي

وأنا أتساءل مع نفسي كيف سيفهمون "يستيقظ الحب في هذه الحرب"

عدت إلى غرفتي التي أقيم فيها تمرينات العزف على العود ، تحضيرا للحفل الساهر بمناسبة أعياد رأس السنة على إحدى قاعات المسرح الوطني ، والحفل سيبدأ بعد اقل من ساعتين. سمعت صوتا يصدر من غرفتي الموصدة الباب أثار غضبي ، وشد أعصابي "هذا تعدي على شخصيتي الفنية" رنات متقطعة ، ونغمات مبعثرة ، مجرد انتقال من نغم إلى أخر. فتحت باب الغرفة وأنا أستشيط غضبا فوجئت بوجود حبيبتي هنا جالسة وتعمل محاولات للعزف لكنها تفشل في كل مرة حتى بدت جازعة. وقفت وهي تنفر غضبها ولم تشعر بوجودي

معها إذ تصرخ "كيف تعلم هذا الأحمق...؟"

قاطعتها

- من الأحمق؟ّ!

- ها.. أنت هنا.. متى دخلت؟!

- ....

- دخلت إلى الغرفة دون أن استأذنك لكني طلبت من موظفي الاستعلامات أنْ يوصلوني إلى غرفتك!

- من الأحمق؟ (كررت بهدوء)..

- هههههم.. هو ذلك الكلب

- هو كلب؟!

- شاهدت تقريراً في إحدى الفضائيات خلاصته إن كلبا يعزف وبمهارة على القيثار..

غيرت نبرة صوتها استدركت حديثها برومانسية.

- أنا اعشق العود وأنت تعرف بمدى عشقي للعود لِمَ لا تعلمني؟

- أعلمك ، عن قريب.

- لا ، الآن..

- الآن؟ بعد اقل من ساعة عن بداية الحفل.

- ولو.. دقائق...

ضحكت لها بإعجاب وهي تجلس وتتمايل وتبث العطور. أعطيتها العود وبدأت تتراقص أناملها الشفافة الجميلة على الأوتار ، وأنا أحرك الريشة في ضوء حركاتها الجميلة فطغى صوتها على الموسيقى الهادئة.

- تعرف حبيبي؟ هذا العود زاد حبي لك ، حين أراك تجلس أمام الآلاف من الناس وتنشر عليهم موضوعاتك ، فتطفئ الظلام وتشعل النور وتزرع الأمل وترسم الضحكة وتقتل الموت وتحيي الحياة وهم يصغون إليك يتلقفون منك نسمات الوجد...

اشتعلت الأضواء ، واهتز المسرح من تصفيقات الجمهور متفاعلين مع تفاعلنا الموسيقي من حيث لا نشعر بدخولنا إلى المسرح.

حلم ميت

ليتـك تـدرين ، كـم أهـواك؟.. ليتـك تـأتين.. تبحـثين عـني ، فأنـا هنـا ، في اللاوجـود ، ابحـث عـن نفسـي بـين أشيائي. قد تعثـرين علـيَّ قبعاً تحت الأتربـة أو بـين ركـام كـتبي الـلا فائـدة منـها ـ كمـا يقولـون لي ـ. ابحـث عـن مفـردات في الحـب تليـق بحجمـك.في هـذا المكـان أفكـر فيـك ، ليـل نهـار.. هكـذا وضـعتك في خيـالي.. زاد حـبي لـكِ ، دون علمـك ، لكنـك تلاشـيتِ ، دون أن تسـتأذني خيالَي..

أملأ عيني أمـلاً أن أراك ، علـه يرسخ ، ولا ينكفـئ ، اجعل حركتي محدودة ، باتجاه واحد ، اصعد فوق الأفق افقد الأمل وثمة صورة محترقة ترسو في بحر عيني الذارفة الـدموع. صـورة متحركـة ، حركـة عشـوائية ، بقايـا وطـن مازال يحترق.. ويحترق ، أجسـاد تتشـظّى تخترق نظـري إلى

ما وراء النظر ، وأتلقف آهاتها المريرة الحزينة ، ودخان تلاحقه عيني يدخل في رحم السماء فمتى تولدين ثانية؟. لا تسالي كيف تراني أطير؟.. بل أرى خيالك يطير في عنان سماء فقدت عذريتها وحقيقتها ولجأت إلى الضلالة.. ارفع يدي إلى الله علّه يستجيب دعواتي "يا رب ، الرحيل وراءَها أفضل من البقاء بهذا الذهول.. أفضل من أن أرى الأرواح تتمزق وأحلاما تموت.. وحقيقة تزيف.أهذه نهايتي؟ حقا ، إني أدركت حقيقة ، الحب سر نجاح الإنسان إذا فقده ، فنيَ ، وأنا فان"

ـ صرت رمادا ـ ، تهشم جسدي الصلب ، بنفخة فم ، رحلت وراءها فلم أجدها..

إنها فعلا رحلت إلى اللا لقاء إلى قفص من ذهب ببدلتها البيضاء وأنا في قفص من نار.. إلى الأبد. أترنم على لحن أغنية كتبها القدر ، وغناها نعيب الغربان.

مذكراتي في الحرب

الساعة تدق منتصف الليل(تك.. تك) امتزجت دقاتها المزعجة برنين الهاتف ، كنت غائصة في نومي العميق حركت رأسي من الوسادة قليلا منزعجة من الدقات (تك. تك.. ترن.. ترن) (يا الهي ،..) نهضت من فراشي بخطى رتيبة ، متجهة إلى الهاتف متمتمة (من يتصل بهذا الوقت؟).. رفعت السماعة فاجئني صوت أمي:

- كيف حالك يا حبيبتي؟
- أهلا أمي!.. بخير!

فتحت عيني

- كنت نائمة؟
- نعم ، عشت الوحدة لوحدي ولأول مرة أبيتُ في البيت لوحدي وبدون خوف.

- عسى أن لا تبقي وحدك..هل أتصل بك زوجك؟

- أتصل بي بعد وصوله للمستشفى.

- نعم ، اذهبي ونامي.. تصبحين على خير..

- تصبحين على ألف خير يا أحلى أم..

رجعت إلى سريري ، وقفت قليلا ، نظرت إلى القدح المملوء نصفه ماء كأنه يقول لي (أشربيني) ، ووضعته على شفتي ورن الهاتف ثانية..

تركت القدح على الطاولة وذهبت إلى الهاتف

- أعرف ، كنت نائمة ، لكنني أحببت أن أزعجك

- ولماذا؟

- لأني احبك

برهة صمت

- ما شعورك وأنت وحدك؟

- عادي..

- عادي بدوني؟

- لا ، وإنما لا خوف ولا أي شيء.. متى تعود؟

- اشتقتِ إلي؟

قهقهت ثم قلت له:

- حبيبي أنت حتى لو لم تكن معي فاني أفكر فيك

- تصبحين على خير..

- ماذا سمعت عن آخر الأخبار؟

- ههم.. لا ادري ، ولكن الجميع يترقب الخطاب الأمريكي أنت لا عليك اذهبي ونامي وفي الصباح رباح.. تذكرت إذا تحتاجين أي شيء اذهبي إلى جارنا (أبو احمد).

- وأين أنت؟

- ربما يكون الدوام أربعا وعشرين ساعة

- مع السلامة

- مع ألف سلامة

عدت إلى السرير نظرت إلى القدح وضحكت ،"لم اشرب منك حتى لا يدق الهاتف بعد".. استلقيت على ظهري مفكرة بغد ، بزوجي وبأهلي.. أخذت عيني النوم..

الساعة الجدارية السوداء أيقظتني بدقاتها (تك..تك) الخامسة صباحا ليست هي وحدها بل أصوات مدوية اهتزت البناية كلها ، صواريخ سقطت هنا وهناك ، صافرات الإنذار ، وتكبيرات الجوامع. نهضت من فراشي وجسدي المهرول غير المتماسك ، قدماي لا تحملانني ، وقفت أمام الشباك شاهدت السماء احمرت لا ادري ماذا افعل؟ ، هرعت إلى الهاتف أحاول الاتصال يدي المرتعشة لا تمسك لوحة مفاتيح الهاتف.. أمنت اتصال مع أهلي.. كلمتني أمي

- أمي.. ماذا حدث؟؟؟

تصاعد بكائي

- اصبري يا ابنتي

- اصبر؟؟ على أي شيء؟ أصوات مرعبة وأنا وحدي..

علت أصوات صافرات الإنذار ،الطائرات ، الانفجارات والجوامع كلها امتزجت

- لا تخافي ، في الصباح يعود لك زوجك.. لا تقلقي

- لِمَ لا أخاف؟ انتم في مقدمة الحرب في البصرة

وزوجي في مستشفى عسكري وأنا لا اعرف أحدا هنا..

- ابنتي..عليك بنفسك اذهبي وصلي صلاة الصبح واذكري الله تعالى

- إن شاء الله.. سأحاول ذلك ، ولكن...

- الو.. الو......

انقطع الاتصال.. برهة صمت ووقوف مستعجل ثم جلست مرة ثانية وحاولت الاتصال بزوجي انقطعت الاتصالات.. الخطوط كلها مشغولة وقفت قليلا ثم صلّيت مثلما قالت لي أمي.

عقارب الساعة تقترب من السادسة على بعد خمس دقائق فتحت باب الشقة أخرجت راسي وأرجعته.. وقفت في عتبة الباب تذكرت قول زوجي بان اطرق باب بيت أبو احمد كنت مترددة بذلك طرقت الباب بهدوء.خرج أبو احمد

- السلام عليكم..

- عليكم السلام.. تفضلي!

- لا..ممكن أن تأتي معي أم احمد عندي في البيت

أم احمد كانت واقفة خلف (أبو احمد) دفعته قليلا

- تفضلي....

- لا....

- أين الدكتور حسن؟

- في المستشفى

قال أبو احمد

- وأي مستشفى؟

- الرشيد العسكري منذ البارحة..

قالت أم احمد

- سأذهب معك..

دخلنا أنا وأم احمد وجلسنا بدا التوتر والقلق يصعدان وأم احمد تحاول أن تقلل من التوتر

- هل اتصلت بالدكتور حسن؟

- حاولت ولم احصل عليه

نظرت أم احمد إلى الهاتف وقالت لماذا الهاتف مفتوح نظرت إليه وقلت نسيته قبل قليل

قامت أم احمد تغلق الهاتف بهدوء رفعت يدي وقلت (يا الهي ، يا راد يوسف لأبيه رد لي زوجي عسى أن لا تمسه النار) غلقت الهاتف وجاءت لتجلس قربي. رن الهاتف حاولت النهوض لكن أم احمد كانت الأسرع وقالت لي ابق في مكانك أنا أرد.ردت أم احمد وإذا بزوجي يقول:

- أين أنت يا عبير؟

- لطفا أنا جارتها أم احمد وعبير هذه قربي هل تريد التحدث معها؟

- شكرا لك..أنت عندنا في البيت؟ أنا حاولت أن اتصل منذ ساعة والهاتف مشغول

- كانت مرعوبة وتركت الهاتف مفتوحا وجاءت إلينا مسكت الهاتف وكلمته..

- كيف حالك وأين أنت متى ترجع.. قلقة عليك أنا....

- عبير اهدئي ، ولا تتوتري..

- متى تعود أنت؟

- لا اعرف ، يحتمل أن أتي قبل الظهر

- إن شاء الله تعود بالسلامة. هذه جارتنا(أم أحمد) هي ردت عليك

- ها.. أهلا وسهلا بها.. أوصلي سلامي إلى أبو احمد وأم احمد

- هل تذهب إلى خارج المستشفى.....؟؟

انتظرت منه إجابة لكن الاتصال انقطع بقينا أنا وأم احمد جالستين ونعد الدقائق.. دقات الساعة تنبهنا على رأس كل ساعة.

الثانية عشرة هو موعد وصول الدكتور حسن ننتظر دقات الباب.. حلّ الليل وغطانا الظلام ولم يصل حسن.. أم احمد معي ولم تتركني دقيقة واحدة تهدئ أعصابي.. مرت أيام ولا أحد يستطيع أن يصل إلى المستشفى بسبب بعده والناس تخاف من القصف..

بعد عشرة أيام من اندلاع الحرب اشتد الحصار على بغداد ، بدأ الناس يهربون من بغداد بسبب قلة الغذاء وانقطاع الماء والكهرباء حتى خلت العمارات السكنية من الناس واغلب العمارات المجاورة بقينا أنا وجارتنا أم احمد أنا لا اقدر أن اذهب إلى بيت أهلي في البصرة ولا اعرف

أحدا في بغداد وبعد مرور ثلاثة أيام جاءت أم احمد تطلب مني أن اذهب معهم إلى أقاربهم قالت " اذهبي معنا إلى أقاربنا هناك أمان ونحافظ على أرواحنا وأبنائنا ، منطقتنا خطرة " ، لكنني رفضت الذهاب معهم عجزت (أم احمد) عن إقناعي وكذلك (أبو احمد) حاول كنت رافضة إلا أنّ أعرف أخباراً عن زوجي حسن.

في اليوم التالي ذهب (أبو احمد) إلى المستشفى لكنه لم يستطع الوصول بسبب الحرائق والقصف رجع إلى البيت وكأنه يحمل سراً عن حسن حاولت إقناعه بان يقول لي: ماذا عرف عنه؟. قال لا اعرف عنه أي شيء لأني لم أصل إلى هناك بسبب القصف العشوائي.

وفي العصر قررت عائلة (أبو احمد) أن تذهب وجاءوا إليّ كنت رافضة الذهاب قال أبو احمد

- نذهب أنا والأطفال وتبقى أم احمد معك أوصلهم وأعود.....

- لا ، اذهبوا كلكم

قالت أم احمد

- لا نتركك وحدك أبقى معك حتى يعود أبو احمد

- لا والله.. لا أريد احد يموت بسببي.. أنا.. أنا أبقى هنا وانتم اذهبوا.

كانت الدموع تنزل من الجميع ، والجميع يحاول إقناعي لكنني كنت مصرة بعدم الذهاب معهم حتى تركتهم في صالة الجلوس ودخلت إلى غرفتي.. قرروا الذهاب قبل الليل على أن يوصلوا أطفالهم ويعودون في اليوم التالي فتركوا لي نصف ما يملكون من أكل ونقود وماء.

حل الظلام ، كانت ليلة قاسية ، وحشية عشت بين نيران وحطام الأبنية وأصوات غريبة مرعبة. كنت أتمنى أن أرى الفجر لأرى أبقي بشر أم كلهم رحلوا؟؟.. حل الصباح بدأت أترقب وصول بيت(أبو احمد) حتى اذهب معهم. خرجت من شقتي وقفت مهوسة التفكير عند عتبة الباب ثم بعدها خرجت إلى الشارع أتفقد العوائل لم أجد أحدا. بدأت ابحث عن الناس في العمارة صعدت إلى الطابق الثالث وجدت باب إحدى الشقق مفتوحاً وسمعت أنات خفيفة دخلت إلى الشقّة ، وجدت امرأة عجوز مريضة وممددة وتبكي فعندما رأتني

قالت:

- أنت هنا؟

- نعم ، وأنت هنا وحدك؟

- نعم ، لكن قبل الحرب كان ابني معي انتقل قبل أربعة أشهر إلى السماوة ضابط في الجيش واخذ معه زوجته وأطفاله واستقر هناك

- وألان أنت وحدك؟

- كانت ابنتي تأتي كل يوم وتقضي أشغال البيت لكن منذ يومين انقطعت أخبارها وأنا قلقة عليها ، وأنت من معك

أخذت الدموع تنزل بغزارة..

- أنا؟.. أنا وحدي ، زوجي انقطعت أخباره في بداية الحرب هو طبيب في المستشفى العسكري وعائلة (أبو احمد) يوم أمس غادروا العمارة ، كانت(أم احمد) معي طيلة هذه الفترة. طلبت مني أن اذهب معهم لكن.. لكن عنادي منعني يا ليتهم يأتون ثانية واذهب معهم.

- ابنتي ، تعالي وأسكني هنا معي

- اذهب إلى شقتي واجلب بعض الأشياء

- على راحتك..

رجعت إلى شقتي وجلبت علبة الحليب وبعض الأشياء رجعت بعد نصف ساعة إلى شقة العجوز وجدتها نائمة دون أن اكلمها دخلت إلى المطبخ عملت قدحين من الحليب لنتناول الفطور أنا والعجوز وضعت الحليب على الطاولة القريبة منها واقتربت من العجوز لتستيقظ من نومها ناديتها خالة.. خالة استيقظي اشربي الحليب يقويك على مرضك لم تُجِبّني أبدا مسكتها.. حركتها دون أي رد منها عرفت إنها ميتة برهة صمت ووقوف مستعجل وصرخات متتابعة لا.. لا.. ماتت العجوز.. تعالوا ، يا ناس ، يا عالم ماتت العجوز. لم يأت احد ووضعت عليها الغطاء ورجعت إلى شقتي كانت هذه المشاهد قد أخرستني عن الكلام ، فإقطعت عن الأكل والشرب اعتكفت وسط الحزن وقلمي الحزين وأوراقي الكئيبة.

٢٠٠٨

قيثار

هذه الليلة تمردتُ على ذاتي ، بدل أن افتح جهاز الحاسوب ضربتُ موعداً مع الليل ، والنجوم طالعة رغم سخونة الجو. كان برفقتي قيثار ، أحرك أوتاره بين وقت وآخر. أتابع حركة النيازك. عندما كنت طفلا أخاف النوم وحدي على سطح الدار ، خشية من النجوم والقمر اهرب إلى تحت الغطاء ، باكيا ، لكن اليوم اهرب إلى القيثار ، اعزف الشعور الذي يغمرني والموسيقى التي تنساب وكأني لم اعزف أنا. يولد حب في خافقي.. فيَّ رغبة جامحة.. أؤلف قطعة موسيقية.. ثم ارتعاشة.. ثم ذبول. يأخذني الهذيان إلى شرح تفاصيلها ، كم كانت جميلة هذا اليوم ، يذكرني بها هذا الظلام المزركش بالنجوم ، فهي كذلك ، بفستانها الموسيلين الأسود المطعم

بالنمنم اللامع ـ كالنجوم ـ. ويتوسط صدرها بقعة بيضاء مدورة (عبارة عن أشرطة مطعمة بالنمنم اللامع) ـ كالقمر ـ.. أناملي ترتعش ، تحاول العزف ـ لم أسيطر رغم أن الفكرة ترسخت في ذهني.. لمست الأوتار برفق مسحت عليها رغم الخوف الذي يحتلني بلا سبب. صدرت نغمة من قيثاري لم اسمعها من قبل وكأني اضغط على شفتيها.. قلت هامسا بين الأوتار "أكيد هي الآن تنتظرني على الفيس بوك ، لربما على أحرٍّ من جمر لتسألني: كيف رأيتني هذا اليوم؟ ـ أو لربما أتعبها الانتظار فتركت لي رسالة أو كتبت سؤالها على صفحتي العامة أو.. أو.. أو............ اقرع بسبابتي على ظهر القيثار وكأني اضغط على مفتاح تشغيل الحاسوب أجد عدة رسائل ولم أر واحدة منها. الجميع يفتقدني إلا هي بحثتُ عنها فلم أجدها في قائمة المفضلين. تذكرت أنها غيرت اسمها بحثت من جديد ، لم اعثر عليها ، عرفت إنها خرجت من قائمة أصدقائي.. اااااه على قلبي الذي نسى موعدها.. عدت اكرر العزف وأسجله في نقالي لأنشره على صفحتي الشخصية تحت عنوان أولي "بين حبيبتي والليل "وسالت نفسي" هل ستبدي إعجابها ؟! ".

٢٠١٢/٦/٣

قيامة

قلمي ، وما أدراك ما قلمي ، قلمي خير من ألف سلاح....

هو ذا قلمي/الذارف لهمومي وأوجاعي التي كبرت مع سني...

مرة ، قلمي يشعرني بالأمان وأخرى يسلمني للسدى...

قلمي اقترح عليَّ كتابة قصة قصيرة.. نعم ، قصة قصيرة.

- قصة قصيرة! أنا لم أجرب كتابة القصة ، أخشى الخوض قي غمار الخيال والحبكة ووحدة الموضوع وفكرة.. فكرة؟ عليَّ إحضار الفكرة.

قلمي أكثر جرأة وبوحا وحرية ، يتمرد على الواقع رغم أني أتحكم فيه.

- جاهزة ، سوى أن تغير حركتي وأنا أملي ما يدور

في خيالك ، أنت تسعى لخلق حياة جديد غير الواقع ـ قالها القلم ـ

ماهر ، بطل القصة.

بتحريكي للقلم يبدأ التدوين يحك رأس الكرافيت عبارات لا أطيقها. جعل من ماهر سلطانا يتحرك بحريته المطلقة. مجرم يحب الدم يذبح أي رقبة في وضح النهار. أخشاه أن يخرج من الورقة ويعتق رقبتي ويقتل رسولي المبعوث رحمة "اقصد يكسر قلمي الذي جعلني ربه" ويعيث فسادا. بطل القصة قد تمرد ، فخلق شخوصا وأمات شخوصا ، كيفما يشاء. هذا السفاح ـ ماهر ـ تمرد على ربه...

آه ، يا خجلي ، أنا الخالق وفقدت السيطرة على عبادي.. مخلوقاتي.. العار لي ولقلمي الخائن..

السفاح وليس ماهر عنوانا.. قبل نهايتي العاجلة اقضي على السفاح. سأقيم القيامة وأوقعه في نار قبل أن يتوب إلي وارحمه وامنحه فرصة عيش جديدة.

٢٠٠٨/٢

هستيريا

الأغنية القديمة عاد يصدح صداها في صمتي الموحل ، يحوم حولي ويغنيها ذاك الغراب الأسود. اسود بلون الليل الذي تحتله سحب سوداء تحجب النجوم والقمر!!

مطلعها.. (ضاع الحب وبقيت وحيدا!)

ظلت نغمة تطاردني قتلت آخر حلم كاد يرسو على شاطئ الخرب ـ خرّبه جدي ـ "سامحه الله" لفني بقيود ما أنزل الله بها من سلطان....

الليل طويل.. ماذا أفكر فيه وكيف...؟

اعد شايا ، اغلي ماءا بدرجة احتراق الذكريات ، أملأ قدحا وارمي فيه شاي لبتون ، كما أنا وحدي مرمي هنا ، لا اشربه حتى يتغير لونه/اسود.. بلون الليل.. امضغه مثل الليل العكر.. ابدأ عزفا على أوراقي التي ظلت محرقة

لأحلامـي البائسـة وسـط السـكينة كلؤلـؤة داخـل محـار تؤذيها ذرة رمل لا تقدر على الصراخ ولا اقدر إلا على الصمت...

٢٠١٢/٣/٨

أكوان بثقب... حوتي

لا أتذكر الساعة التي قذفتني فيها أمي في رحم الحياة لأني ولدت بلا عقل. وحين فتحت عيني على هذه المأساة اكتشفت أني ولدت في بطن حوت.. كثير ما كانت جدتي تلقنني قصصاً من قصص الحيتان كيف تبتلع البشر لكنها لم تكشف لي ذلك السر ـ إننا ولدنا جميعا في بطن حوت ـ.وكبرت. ودخلت المدرسة. وحدّثنا المعلم عن قصة الحوت كيف ابتلع النبي يونس؟؟..

ضحكتُ. وقلت لنفسي ـ هل إننا جميعنا أنبياء؟؟ ـ.. كبرت أكثر أخذت اكرر عبارة التصقت بلساني "متى نخرج من هذه المتاهة.. فيوسف خرج من البئر ويونس خرج من بطن الحوت ونحن مازلنا في هذه الحرب التي لا معنى لها.. استدركت قليلا وقلت لنفسي متسائلا" متى نتوب لنخرج من الحرب ؟؟؟؟".

تفاصيل

عيناها تفيضان خجلا.. خدها خدرٌ مصبوغ بسمرة الفراتيات ، شفتاها تمطران عسلا.. شَربت من ماء الفرات زلالا.. فاصطبغت بنفسجا.. لا انزل أسفل الرقبة الجميلة الملساء إلا إذا اقتضى الأمر ذلك....

- تعالي نقترب أكثر!

ضحكت ، طابعة قبلتها عليَّ ، كأن مطرا يغسلني بشبقها ، فانتابني شعور ألق....

يداي تكبل خصرها.. اسمع صوتها يغني كأنه نغمة أذان تقرعها أجراس كنيسة "حي على الـ....".

- آآآآآآه!

بكل خشوع أمارس شعائر الرقص على إيقاع صوتها العذب الماطر بالرحمة عليَّ.. تزداد نشوتي بصمت ، كما

أرى عينيها تذرفان دمعاً حارقاً ـ لم أكن سببه ـ.. نهداها يكادان يهربان إليَّ أتعبهما الالتصاق بتلك الشجرة الخجولة..........

ارقص ،..... واقهر العذاب بقبلة من شفتيها..... تتقد المصابيح الحمراء.. ـ هي عمياء وأنا اخرس ـ تصفيقات.. تسكتها بأغنيتها المفضلة :

نسيمك عنبر*

وأرضك سكر

واني احبك أكثر.....

......

......

* مقطع من قصيدة (احبك اكثر) – محمود درويش

الخبز المحترق

في الليـل ، مطـر يعـزف علـى شـباكنا ، فترقـص علـى أنغامه أحلامنا...

مـدفأة خجولـة تصـارع الـبرد القـارص ، يلتـف حولهـا جدي وجدتي ونحن ـ الصبية ـ مبعدون. أنا منزوٍ منـهمك في حـل واجـب الرياضـيات.. سـناء ترسـم جـدي العجـوز يحرق خبزا فيما تشتد دموع سارة بالهطول من شدة البرد.. تدنو إلي جدي تزداد دموعها بسبب دخان الخبز المحترق..!!

....

....

كبرنا..

مات جدي.. وظلت رائحته تفح بالحوش..

والمشهد يتكرر..

أنا منزوٍ متلفتا.. يمينا.. يسارا.. تسألني حبيبتي عبر الهاتف "أما يزال المطر يدق شباككم!"

وسناء تمسح وجه جدي.. ترسم وجه أبي.. وسارة تبكي خوفا من المطر!!

وحديث ينساب بين أبي وسناء حول رسمها...

اهمس في أذن حبيبتي "ألن تستطيع سناء رسم خارطة حبنا؟!"

مذكرات اليوم السابق

ها هي دقائق مرت على نهاية أمس ، أصابعي مرتجفة /ترقص على الـ(كيبورد) باحثة عن جملة مفيدة. أصابع يدي الخمسة لا يجدي بحثها.. الحروف هربت سوى وجه حبيبتي الفاحم يسيطر على مخيلتي أينما انظر هي أمامي ما زالت تحترق. أهدئ من توتري أحاول أن أبحث في صفحات الفيس بوك ما يهدئني أقرأ أسم (علي) أردده بين لحظة وأخرى أقرأ :

(رأيتُ علياً يطلُ من النافذةِ*

بعد الانفجار

صامتاً وحزيناً ولحيته مخضبة بالدماء

يا علي.. يا علي)

---

* مقطع من قصيدة للشاعر العراقي صلاح حسن

أرفع رأسي إلى النافذة.. الوجه الفاحم تهسهسه النار ، أقترب إليها تلفعني حرارتها ، أمد يدي ، أتلمس صدري تدخل في ثقب لم أجد قلبي.. لم يمض وقت طويل حتى نسيت ما حدث فقد شُقَّ صدري بانفجار وقع عصر أمس وكانت حبيبتي تلعق (الايسكريم) وتضحك ولا أعرف ماذا حصل بعد الانفجار؟؟ ، وجدت نفسي أمام الحاسوب أكتب تهاويم وهلوسات..كيف أكتب وأنا بلا قلب؟؟؟

أمد يدي أسحب الصورة من النافذة ، جمرة ، ما زالت متقدة دفعتها مرة واحدة في صدري لعلي أموت. اشعر بالنار تأكلني.. سأموت ولن انهي مذكرات اليوم السابق من يقرأها؟؟.. قد تستجوبني قوات الأمن يدونون أقوالي ويرمونني في الحجز وصدري ما يزال مثقوبا مملوءاً بقطعة جمر حتى يمسكوا بمنفذ الانفجار !!..

٢٠١٣/٨/١١

البندول

إلى ح.ك

غرفة مظلمة يتدلى من سقفها بندول.. ثمة سجين لّما يزل مُهدي فكره للتعذيب ، حيث قلبه والبندول وساعة سوداء معلقة متوافقة في الحركة يطرح جسده أرضا بأسئلة

- ماذا لو بقيت هنا سأموت جوعا؟
- ماذا لو توقفت الحياة وبقي قلبي ينبض متوافقا مع حركة البندول؟
- ماذا لو استيقظت وعرفت أنني كنت في كابوس؟ والسجن والتعذيب كلها مجرد وشوشات لصقت في عقلي الباطن قبل أن أنام لكن هل أرى تأثيرها على جلدي مثلما أراه الآن ملوناً؟.. هذا السؤال يعيده

عليَّ خالي أينما يراني ويضيف لو أنك استيقظت ووجدت نفسك طفلا ماذا تفعل؟.....

لم يكن هو الشخص المطلوب ولكن تشابه أسماء وهو يعرف الشخص الذي يشابهه فقط في الاسم ولا يشابهه في شيء آخر..!!

مد رجليه ويديه باحثاً عن شيء يتسلى به حتى يدخل عليه السجان ملثم الوجه يضع أمامه كسرة خبز وماعون حساء ويركله ركلتين.

بعد مضي أيام ، يدخل شخص آخر في غرفة الحجز لم ينبس بحرف سوى اسمه ويسكت.. يشابهه بالاسم تتصاعد أعمدة الخوف في روحيهما ظناً انه طُعم ويستجمع أقواله ، ويبعث بها الى التحقيق لكنه يتبيّن له أن ضيفه سجين ولُفقت له عدّة تهم وهو بريء منها.

يسأل ضيفه:

- هل بقيت حياة خلف هذا الجدار الأسود.. البندول لا يتوقف حتى في الليل يمنعني من النوم.. البندول يشاركني همي متوافق بحركته مع نبض قلبي..

الساعة المعلقة على الجدار في تمام الواحدة والأربعين دقيقة.. بعد عام من السجن خرج وبعد مضي عامين

دخل السجن من جديد كانت الساعة لمّا تزل تتحرك برتابة ومؤشرها يقول الواحدة وأربعين دقيقة فوجئ أنها توقفت بعد مضي عدة أيام بنفس وقت دخوله. صرخ السجان "إفراج.. إفراج لا تعيد الكرة"

"والآن هي تتحرك تتوافق مع نبض قلبي وحركة البندول المعلق في سقف الغرفة منذ عشر سنوات قد يكون يسجل اعترافات لكن سأقول وبدون تردد إنهم اعتقلوني أكثر من ثلاث مرات ويعرفون باني لست الشخص المعني واعتقلوا آخر يحمل نفس اسمي وهو بريء وأنت أيها البندول توافقت مع نبض قلبي وأنت أيتها الساعة توافقتِ مع قلبي والبندول ومؤشرك يكاد أن ينطبق مثل لحظة دخولي السجن.. قد تتوقف عند الواحدة وأربعين دقيقة؟؟..

امرأة.. نارماء

الكوابيس وحدها لا تكفي............

حتى في يقظته يراها تتعرى أمامه كما يخلع النهار رداء الليل. امرأة ، نصفها نار والآخر ماء لا النار تلتهم الماء ولا الأخير يطفئ النار. ذاك هو مرمي يغفو كل مساء على صدى عزف سمفونية آلاتها صرير الصراصير ونقيق الضفادع. الجدران آيلة للسقوط والباب تحرسه بالحيلة. أوراقه متناثرة في قاع الغرفة وعلى منضدة نصف قطرها نصف متر تشاركها مطفأة سكائر وقدح شاي فيه بقايا في قاعه.

تتحرك نحوه تلتف حوله ، يقاومها لوّحت يداه دون جدوى فأنهكه التعب ، رجلاه يلملمهما القرفصاء بعد عدة ركلات ، تحيطه من كل حدب وصوب. فالماء يسقي

ظمأه والنار اشتعلت فيه والتهمته لتشبع غريزته الجنسية شعر بالنشوة والمتعة.. ثلاثون عاماُ ولم يذق طعم الجنس....

استفاق مرتعشا ماسحا بقايا ما عَلِقَ في عينيه من صور شبقية مبللة مبعداً عن وجهه الغطاء.. مازال الظلام الدامس يغرقه وسط انقطاع التيار الكهربائي.. الصراصير نائمة وتأخذه نوبة ارتجاف..

لا فائدة من فتحه لعينيه. تحرك نحو الباب ظن انه سلك الطريق الصحيح إليها. وقف عند باب خشبي سحبها وتحرك قليلاً لكنه دخل إلى دولاب الملابس. انكفأ على وجهه لاعناً الظلام. داعياً للصراصير أن لا تستيقظ وعودته إلى "امرأة النار والماء".. فيحترق الحلم وتنطفئ رغبته!!

رسم خاطئ

نقطع المسافات نحيبا..المواجع تتخلل أجسادنا ولا تفيض ، كصحراء إذا ما أترعها الماء تقول: "زد!"..

لا أجيد الرسم لكنني بطريقة خاطئة رسمت روحي على ارض يباب وسحقتها أقدام العابرين إلى مجهولهم..

فيض ألم.. وضحك قليل وإذا ضحكت كثيرا تلقنني جدتي درسا مغزاه "الضحك الكثير يتبعه بكاء!" ، فأوصد الشبابيك وأسدل ستائر غرفتي واعتم إنارتها وارتمي على أريكة.. الأريكة ذاتها ولدتني عليها أمي وما زالت تنتظرني أن ألفظ أنفاسي الأخيرة..!

احتراقات تنشب داخلي والصمت يحتلني وفيوض من الأفكار تغزو رأسي فتذبل وردة روحي الندية.. تنتظر أن تلفظها ارض وادي السلام. "أي سلام وهي ملاذ

للموتى ، الموتى فقط يرقدون بسلام ! ولا يسلمون من السحق من قبل الطغاة والغزاة بغية البحث عن المجرمين.."

لا أجيد كتابة "السيناريو" لكنني كتبت ما بعد موتي وتساءلت هل سأرقد بسلام؟؟؟

نهر الجرذان

تتبع من أين ينبع نهر الجرذان؟؟؟؟

مائة وخمسة عشر يوما من الرائحة العفنة التي تعج في انفي وصوت خنزير يملأ مسمعي حاولت الكتمان سرعان ما تشظت عضاته في جسدي المتعب ونظراته القاتلة كرصاصة أتلقاها كل يوم ونقيق ضفادع يسرب أقوالا باطلة ويحشو فكر سيده المنسوخ

من أين يأتي الحقد وأنت لا تراني أبدا؟؟؟

وياتيك الضجر والخوف....

ذات يوم كنت أمارس نشاطي هناك والشمس كخنجر مزروعة في السماء متسيدة على كلِّ شيء تضربني بلا رحمة وعيني تراها جميلة.

من أين يأتي الحقد وأنت لا ترى احتراقي في شمس ظهيرة أيلول؟؟؟

أنـت وبكـل صـراحة ازدواجـي الشخصـية وتنظـر إلى الـدنيا مـن جهـة ضـيقة وتعامـل النـاس بطبقيـة.. تكلفـني بشيء وتقول لي: "لِمَ تتأخر اترك العمل واخرج"

ونهر الجرذان الذي يغرقني بحقده!!!

ويسألني ثانية "من أين ينبع نهر الجرذان"

- لا علم لي بذلك!!

قـد أخطـأت أو جاملـت لكـنني رأيتـه يتقيـأ دمـا بعـد سماعه إجابتي وحـين راني بصـق مـا تبقـى مـن قـيء في وجهي...

كم هي جميلة بصقتك فقد عرفت أن منبع الجـرذان من فمك...........!!

احتراقات...

على الذاكرة أن تنبش كل ما عَلِقَ فيها.. استرجاع الزمن عبر شريط/صور متحركة وأخرى صامتة.. يتطلب استرخاءا..

أرخى جسده على كنبة تتوسط صالة الجلوس ، أمامه شباك كبير ، يستطيع أنْ يرى أشجار الحمضيات في الحديقة. "آلاء" أخبرته بأنها ستصل إليه بعد إكمالها التقرير ليكمل ما حاول تذكره.

"يتصور البعض إن فن التصوير سهل ، لا أحد يعرف أن الكاميرا تنسى اللقطة بعد إخراج الفلم منها لكنها تبقى محفورة في الدماغ كلما تحتاج إليها تستدعيها.."

آلاء وقدح الشاي أمامه وصورة قديمة أبكته كثيرا يحاول استذكارها يحرك مخيّلته برشفة من الشاي. يحكي:

"امرأة ذات وجه شاحب وطفلاها ينبشون في أكوام النفايات يبحثون عن قوت يوم واحد.. الطفلان تلمع الشمس في عيونهما....يحملان كيساً من النايلون محشواً بما جمعته أيديهما... شعْرَ رأسيهما أشقر ومتسخ ، لا يقفان على خط مستقيم... بين واحد وآخر كوم نفايات يأكلهما الحصار قهراً وبؤساً.."

حاولت آلاء أن تغيّر جلستها ، مصدرة نحنحة.. صمتت قليلا ثم عقّبت بنبرة حزينة:

- أراك متعباً هذا اليوم؟؟

- نعم فقد دعيتك لأخبرك عن هذه الصورة التي تذكرتها.. فقد قلتِ لي تحررين تقريراً عن العوائل الفقيرة. وهذه المشاهد تنمي خيالك ، وتزيد قوتك بالتعبير ومزج الحاضر بالماضي بطريتك التي ترينها مناسبة..

تأملت في كلماته ، مزجت ما بين ما قاله وما التقطته كاميرتها عصر أمس ، وهي في جولة تنقيب لرصد حالات تساعدها في تقريرها. تمتمت بضع كلمات غير مفهومة وقالت:

- شاهدْ هذه الصورة ، التقطتها أمس...

ما إن وقعت عيناه حتى غيّر جلسته سكب ذاكرته في

عينيه وتهدلت كلمات نابعة من قلبه مصدرة فحيحاً لم يظهر صوته مفهوما

"ما أروعك يا آلاء! فقد أدخلت كاميرتك في رأسي لتلتقي هذه الصورة. ماذا فعلتِ بي ، فتحتِ أساريري على هذا الألم"

خافت آلاء من ردت فعله قد تكون ساخرة غيّرت جلستها راسمة ابتسامة كاذبة..

- ما..ذا؟؟

- قد رفعتِ الستار ونفظتِ التراب الغافي على ذاكرتي.. هذه الصورة صورتي وكأنك أدخلتِ يدك في رأسي لتلتقطيها بشباك عجيبة.. لكنك من زاوية أخرى مسكتِ الفكرة من منتصفها..ها هم الفقراء متشابهون بكل شيء. حتى في وقفتهم أمام الكاميرا ورغم فقرهم يبتسمون لعّل المصوّر يعبرهم إلى بر الأمان ويقتل الفقر.. حتى المصورون يبدعون في تصويرهم !!.

- نعم يامعلمي! ـ إنهم فعلا ـ يتصورون أن حياتهم سوف تتغير بمجرد أن يقرأ العالم عن معاناتهم. تصوّر أن طفلاً طلب مني أن التقط له صورة سألته بمزحة بِمَ تنفعك؟.. يقول: "أدخليني في كاميرتك يقولون إن في

الكاميرة حياة الترف والسعادة. أُريدُ أنْ أتجول في أسواقها وحدائقها وأركب مراجيحها ، لا أُريد أن اركب دولاب الهواء لأن أبي تركني في دولاب الهواء ولم يعد ، والدولاب ما يزال واقفا تحت خط الحياة لأن الكهرباء مطفأة ، فلم أرَ النور منذ ذاك اليوم"

ذابت العيون وهطلت أمطار الدمع المالح غاسلة وجوهيهما. فالصورة تتكرر في عيونه ولن يغسلها الدمع ولا الأيام...

غادرته آلاء بذهول حتى وصلت إلى منزلها لتكتب ديباجة تسبق تقريرها "كيف لصورة فازت قبل أكثر من سبعة عشر عاماً تتكرر من جديد بعدستي هناك من سيتهمني بسرقة الصورة لكن صاحبها الذي ستنسبونها له استذكرها وبكى".

قصص قصيرة جدا

ثلاث صور لموت واحد

صورة ١

كنت جالسا مع صديقي في حديقة عامة ، وكان الجو مشمسا ، جذبتني جريدة بين يدي رجل مسن ، جالس على كرسي قديم وتحجب جزءه العلوي ، شدني إليها ألوانها المتضمخة بهموم الحياة وألوانها المربكة.. نحيب مكتوم ساقني بقوة لا تطاق ، والأفواه كلها ضاحكة. تحركت نحو الجريدة كأنها تصرخ ـ تعال ـ يزداد النحيب يضج صداها ـ من يقرا أحزاني ـ (وجدت الرجل بلا رأس).

صورة ٢

خرجت من المقهى الذي اعتدت ارتياده حاملا دفاتر أشعاري.. خيالي سارح في فضاء افقه رطب تنث سماؤه مطرا هادئا "أتجلي هذه القطرات من خيالي قصة ذلك الطفل الذي خرج من المدرسة إلى البيت فرأى جرائد متطايرة.. فكّر: هل تبث أخبارا سعيدة؟؟؟. استدار إلى الرصيف لمحت عيناه أكداس جرائد تتجمع فوق جثة رجل زاحها عنه وجده بلا رأس. صرخ مرتعدا الجرائد أكلت رأس الرجل!!!"

يغسلني المطر..... (قال حامل الدفاتر)

..... كيف أكلت رأس الرجل؟.. آه.. نسيت سأترك التفكير وأحرق أشعاري ، ربما تأكل رأسي...!

صورة ٣

الجريدة الصباحية أزعجتني بأحلامها الوردية...

"سـوف نـبني.. سـوف نرفـع.. سـوف ننصـب سـوف نفتح.. سوف نكسر سوف نفعل سوف نصرف سوف.. سوف.....سوف نعين سوف نحل سوف نجد سوف.. سوف.. سو سـ سـ س..... س ـ...............س......"

أطبقت الجريدة وزاد توتري من الأوهام الـلا طعـم لهـا محـاولا الخـلاص منـها بجنـق فلـم أجـد حاويـة نفايـات. غطيـت بهـا جثـة كانـت هامـدة علـى الطريـق مقطوعـة الرأس...

صمت!

يؤلمني فمي..

قلت:

- بدأ ينمو سن العقل

قالت زميلتي بفرح عارم

- يا الله! ، يعني راح اتصير عاقل وتبطل كتابة القصص؟

لزمت الصمت..!

لص

مطمور في قبره..

يفكر..

ماذا يسرق من الجنة لو دخلها ؟؟؟

في يوم واحد

دخل إلى شقته رأى زوجته تشعل شمعة وتضعها في الشمعدان.. سألها

- ما المناسبة لتوقدي شمعة؟
- الم تعرف حبيبي؟ اليوم عيد ميلادنا وذكرى زفافنا

ضحك بابتسامته المعهودة كاتما نبوءة مرة

سقط صاروخ على منزلهما واحرق صدره بنبوءته الآسنة

بدأت الحرب ....!

هروب

أيامي كلها ضحك ـ أمام الناس ـ وفي خلوتي تجرني أهاتي نحو خضم الضياع، أبحث عن سبيل للخلاص اخترت أن أهرب من العتمة باستذكار الحلم اليومي مع حبيبتي فعشته بمنتهى الشبق والاحتراق...

أوقد القمر فوق المدينة المحتفية باختفائي لان ضحكي سبب لهم ماسي لا تنفكّ عنهم أبدا.. ينظرون إلى الأعلى.. يرونني فوقهم.. يهلهلون.. يلوحون بأيديهم (اضحك.. اضحك..!).

٢٠١٢/٢/٢٩

رواية

حاول أن يكتب رواية استجمع كل ما في خياله من أفكار ورتبها حيث قتل أياما وليالي لمشروعه فلم يستطع كتابة سوى بضع كلمات نعتها بـ(قصة قصيرة جدا)).

خيانة

قلمي ، لا... استغفر الله.. يدي كتبت الشعر على الماء فابتلعه النهر ثم تقيأه دما قبل أن يقرأه الدكتاتور ويتهمني بالخيانة.

فار

فار صغير يسرح في رأسي ويمرح ، يحاول أن يقضم أفكاري ، كيف أتخلص منه؟؟ إذا دسست السم له قد يختبئ في إحدى زوايا رأسي ويتفاعل السم مع أفكاري وأموت منتحراً!!

غباء

فكر كتابة قصة ، بحث عن سيجارة تهيئ له فكرة ، جيوبه فارغة.. لا سيجارة ولا نقود.. باع قلمه واشترى سيجارة ...

صورتها!

رسمت وجهي على حائط خرب ، عتيق.. فلما انتهيت سمعت ضحكتها ترن في أذني تنبع من الحائط.. نزعت نظارتي رأيت صورتها مرسومة هناك...!

٢٠١٢/٤

المحتويات

قصص قصيرة جدا

الكاتب في سطور

- مواليد النجف الاشرف - ١٩٨٧
- حاصل على قلادة التميز في مسابقة فرج ياسين القصصية – ٢٠١٣

فاز بالمركز الأول بمسابقة صحيفة ناشرون في الأردن - ٢٠١٣

- حاصل على شهادة الدبلوم الفني
- عضو هيأة تحرير في مجلة رؤيا
- عضو مؤسس لمنتدى بانقيا للأدب والثقافة
- نشر قصصه في صحف عراقية ومواقع الكترونية
- اشترك في عدة أماسي وندوات ثقافية في اتحاد أدباء النجف واتحاد أدباء كربلاء وغيرها